جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت - كلية الآداب
قسم اللغة العربية
الدراسات العليا (الماجستير)

شعراء الاندلس

إعداد :

ا. د ياسر رشيد حمد

١٤٤٧هـ ٢٠٢٦ م

يحيى الغزال، حياتهُ وسيرتهُ (ت٢٥٠هـ):

يحيى بن الحكم البكريّ (١٥٤هـ/٧٧٠ ــ ٢٥٠هــ/٨٦٤)، أصله من جيان المدينة الأندلسية المشهورة، وأسرتهُ في أصلها تنتمي إلى (بكر بن وائل) القبيلة العربية المعروفة، وقد لقبهُ الأمير عبد الرحمن الأوسط بلقب الغزالِ لفرط جماله، حيثُ دخل يحيى عليه ذات يوم فحياه، بقوله: "جاء الغـــزال بحسنهِ وجماله"

وكان أيضاً رجلاً حكيماً أرسله عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦هـ- ٢٣٨) الذي اجتذب إلى الأندلس زرياباً المغني الذي أدخل إلى الأندلس الموسيقى والغناء العربيين.

نشأته وثقافته:

نشأ الغزال نشأة دينية واكتسب منذ صباه أخلاق الفروسية، فهو ينتمي إلى قبيلة (العدنانية) من أعز القبائل في شرقي الجزيرة العربية، وقد اعتنق الإسلام شاعرنا هذا وكثير من أبناء قبيلته، اضطربت الآراء حوول سنة وفاته، إلا أنها تجمع على أنه ناهز المائة ولعل الراجح في وفاته أنها سنة ٢٥٠هــ، وإذا صحت نسبة البيت الذي يقول فيه، إليه:

وما لي لا أبلى لتسعين حجةً وسبع أتتْ من بعدها سنتانِ

فإن ولادته تكون في حدود سنة ١٥٠هــ.

أدرك الغزال خمسة من أمراء الدولة المروانية بالأندلس: عبد الرحمن الداخل (ت ١٧٢هـ)، وهشام بن عبد الرحمن (ت ١٨٠هـ)، والحكم بن هشام (ت ٢٠٦هـ)، وعبد الرحمن الأوسط (ت ٢٣٨ هـ)، ومحمد بن عبد الرحمن (ت ٢٧٣هـ).

شاعرنا الغزال ذو ثقافة واسعة لمعرفته بالأمور العقلية والنقلية؛ فقد وصفه المقري بالعراف لمعرفته بعلم النجوم، وكان الغزال يحفظ القرآن، ويحسن التفسير، ويروي الحديث، ويتقن الفقه، وهو متعمق في الفلسفة والحساب والفلك والتنجيم، وكان متبحراً في اللغة وآدابها، حافظاً لكثير من الشعر القديم. ويتصف الغزال بالحكمة وجودة الرأي، وحسن التصرف، وحدة الخاطر، وبديهة الجواب؛ فهو شاعر عالم حكيم أسند له الأمير عبد الرحمن الأوسط قبض الأعشار في بلاد مروان، وكونه من ألمع شعراء فترة صراع الإمارة، بل كان من أكبر شعراء الأندلس في كل الفترات؛ لأصالته الشعرية وخصائصه الفنية، وتصوير شعره لعصره وحياته إلى حد كبير.

يمكن تقسيم حياة الغزال الشعرية إلى ثلاث مراحل:

أولاً: مرحلة الصبا والشباب، تناول فيها موضوعات الخمر والفكاهة.

ثانيًا: مرحلة الكبر والعقل، تناول فيها موضوعات النقد الاجتماعي والأخلاقي وتعمق روح السخرية والإحساس بالمرارة إلى حد التشاؤم.

ومنه قوله في نيل القوي من الضعيف:

لا وَمَن أَعمَلَ المَطايا إِلَيهِ كُلُّ مَن يَرتَجي إِلَيهِ نَصيبا

ما أَرى هَهُنا مِنَ الناسِ إِلّا ثَعلَباً يَطلُبُ الدَجاجَ وَذيبا

الشاعر هنا في هذه الأبيات يحلف بيمين معظمة بالله تعالى الذي جعل أفئدة من الناس تهوي إلى مكة المكرمة، فهذه مثالية ا واضحة من الشاعر الواقعية الحدث وتؤكد هذه الأبيات صدق نوايا الغزال في شعره ما بين الكبر والعقل، لبيانه لمحة لجانب من جوانب الحياة فهو لا يرى من الإنسان إلا طامحاً طامعاً بضربه الأمثال للثعلب والقط وكأن هذه الخصال صارت في كثير من الناس.

ثالثًا: مرحلة الضعف والزهد وتغلب فيها على شعره موضوعات الشكوى من تقدم السن والزهد في الدنيا ومتاعبها.

ديوانــــه وموضوعاته:

يعد يحيى بن حكم الغزال من أشهر شعراء فترة صراع الإمارة، ممن تركوا أثرا واضحا في الحياة الأدبية خاصة في جانبها الشعري حيث خلف الشاعر ديوانا شعريا يضم مختلف الأغراض التي تبرهن على تشبعه بملكة شعرية متفردة عنتها دقة الملاحظة والنظرة الحاذقة مما يدل على عمق خبرة باللغة والشعر، وقد جمعه ديوانا ورتبه شاعر يسمى حبيب بن أحمد الشطحيري ولكن للأسف هذا الديوان قد ضاع فيما ضاع من تراث الأندلس، ولم يبق من شعر هذا الشاعر إلا بعض القصائد والمقطوعات المتناثرة في الكتب التي ترجمت كـ(المقتبس) و (المطرب)، وقد حاول بعض الدارسين المحدثين جمع شعر الغزال من مصادره، ومن أوائل هؤلاء الدكتور إحسان عباس في كتابه تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، كما جمع الدكتور محمد صالح البنداق شعر الغزال في كتاب أسماه (يحيى بن حكم الغزال (٢٥٠هـ) كما قدم لنا الدكتور رضوان الداية شعر الغزال بعنوان (ديوان يحيى بن حكم الغزال).

وإذا أردنا أن نقف على موضوعاته الشعرية فيما وصل إلينا من أشعاره، استوقفتنا ظاهرة غريبة، تتمثل في فقدان أشعار الغزال، لاسيما تلك التي نظمها في مدح ملوك الأمويين، بعد أن زامن خمسة منهم.

فمن غير المعقول ألا ينظم في مدح ملوك عصره، وهو موضع ثقتهم.. بعد أن تولى مهامّ صيرته في ظلهم، ومنها سفارتاه إلى بلاد النورمان، وبلاد الروم، وما بين أيدينا من أشعاره في هذا الباب لا يعدو قصيدته التي يستعطف بها عبد الرحمن بن الحكم الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ)، ولم نجد من أخباره ما يشير إلى صلاته بملوك الأندلس الذين أدركهم. ومن أبياته في بائيته يقول:

مَن مُبلغٌ عَنّي إمامَ الهَدى   الوارِث المَجد أَباً عَن أَبِ

وَأَصبَحَ المَشرِقُ مِن شَوقِهِ   إِلَيكَ قَد حَنَّ إِلى المَغرِبِ

وقد أعجب القدماء بأبياته المتقدمة آنفًا في معنى الهيبة، ورأى بدير متولي حميد أنه كان مجدداً فيها سابقًا البحتري (ت٢٨٤هـ) وربما كان الأخير متأثراً به.

ويتصدر موضوع الحكمة والزهد موضوعاته الشعرية، إذ بين أيدينا سبع عشرة قطعة في هذا الموضوع، وتصوره أشعاره في سني حياته الأخيرة، يصدر عن حكمة بالغة وتجربة محكمة، وتقدم قصائده في هذا الباب، قصيدة طويلة في عشرين بيتاً يظهر فيها عزوفه عن اللذات والمتع المحرمة، فيقول:

لَعَمرِيَ ما مَلَّكتُ مِقوَدِيَ الصِبا فَأَمطوَ لِلذاتِ في السَهلِ وَالوَعِرِ

وَلا أَنا مِمَّن يُؤثِرُ اللَهوَ قَلبُهُ فَأُمسي في سُكرٍ وَأَصبِحَ في سُكرِ

وَبِاللَهِ لَو عُمِّرتُ تِسعينَ حَجَّةً إِلى مِثلِها ما اِشتَقتُ فيها إِلى خَمرِ

وَلا طَرِبت نَفسي إِلى مِزهِرٍ وَلا تَحَنَّنَ قَلبي نَحوَ عودٍ وَلا زَمرِ

وفي أخريات حياته وبلوغه أرذل العمر، يدعو الناس إلى أخذ الموعظة مما أدركه، والحال الذي بلغه:

تَسأَلُني عَن حالَتي أُمُّ عُمَر
وَهيَ تَرى ما حَلَّ بي مِنَ الغِيَر

اِربَدَّ مِنّي الوَجهُ وَاِبيَضَّ الشَعَر

وَصارَ رَأسي شُهرَةً مِنَ الشُهَر

وثاني موضوعاته الشعرية الذي انتظم ما وصل إلينا من شعره، هو نقد المجتمع من نواح متعددة، وصور مختلفة، يكشف عن عيوبه المستشرية، ويوجه سهامه، لهؤلاء الذين انحرفوا عن جادة الصواب، بأسلوب المبالغة، ويتوقف عند بعض تلك الآفات ليعالج الرياء، عند من يُظهر صلاحاً ونقاءً، وتأتي معالجته سافرة متهكمة في قوله:

إِذا أُخبِرتَ عَن رَجُلٍ بَريءٍ مِنَ الآفاتِ ظاهِرُهُ صَحيحُ

فَسَلهُم عَنهُ هَل هَوَ آدَمِيٌّ فَإِن قالوا نَعَم فَالقَولُ ريحُ

وَلَكِن بَعضُها أَهلُ اِستِتارٍ وَعِندَ اللَهِ أَجمَعُنا جَريحُ

وأما الموضوع الثالث الذي أسلس الشاعر له قياده فهو الغزل والمجون، وما بين أيدينا من شعره، لا يعدو عشر قصائد، وأشهرها همزيته التي تقترن براوية رحلته إلى المشرق، ونشك في تلك الرحلة، ونرجح أن القصيدة نظمت بقصد إظهار الباع، وإبداء البراعة، في النظم، وجاء الرواة، فأوحت مخيلتهم الخصبة قصة رحيله إلى المشرق، والقصة مما ينسجم مع لاتجاه العام للأندلسيين والروح المسيطرة عليهم في معارضة المشارقة وإظهار التفوق عليهم.

شاعـريته وسماته الفنية:

سنتوقف عند أبرز السمات الفنية التي امتازت بها شاعريته، أما غرسيه غومس فيرى أن السّر في امتياز الغزال لا يعود إلى براعته في الشعر بقدر ما هو بسبب حياته الخاصة الطريفة التي كان يحيياها.

ويتفق الباحثون على أن من أبرز خصائصه الفنية ميله إلى القصص الشعري، من أبرز الظواهر الأدبية في الشعر العربي، وفي ديوانه أمثلة كثيرة لهذا الاتجاه ويضيف هيكل إلى هذه الخصيصة سمة التحليل والتعليل.

ويرون أن من خصائصه الفنية، نزوعه إلى روح السخرية والنقد، في أشعار ونظراته متهكمة فيها، وتتمثل هذه السمة في قصائده التي نقد فيها المجتمع في مظاهره السلبية الكثيرة، وفي موقفه من المرأة، وكنا عرضنا لنماذج من أشعاره فيها، وهو موقف كان يؤرق الشاعر ويصوره بألوان مختلفة كما يبدو في أبياته الرائية السابقة.

ومن الخصائص التي التفت إليها إحسان عباس، وضوح نظرته الفلسفية القائمة على تجربته، وهذه السمة إلى جانب السمة التي تقدمت أنفاً، خاصيتان عزيزتان في الشعر الأندلسي، ونظرته الفلسفية كانت على صورة التشاؤم والشك فيمن حوله من أبناء المجتمع، على نحو ما رأينا في أبياته البائية التي تقدمت ونلاحظ في عدد من قصائده. أن نظرته إلى المرأة كانت سلبية كذلك.

وتأخذ أشعاره الفلسفية بعداً عميقاً، حين يحدثنا عن تجربة حياته الطويلة ويصور لنا نظرته إلى الإنسان بين الحياة والموت، ويسخر من تقديس الناس للمفاهيم المادية، على نحو ما رأينا في أبياته الرائية التي مطلعها:

أرى أهل اليسار إذا توفوا بنوا تلك المقابر بالصخور

ومن الخصائص الفنية التي استوقفت أحمد هيكل الصور الفنية المبتكرة التي تضمنتها أشعاره من مثل قوله في قصيدته التي يسوق فيها حواراً بين المرأة والشيخ:

سَيّانُ قَولُكِ ذا وَقَولُكِ إنْ الريحَ نَعقِدُها فَتَنعَقِدُ

أَو أَن تَقولي النارُ بارِدةٌ أَو أَن تَقولي الماءُ يَتَّقِدُ

والصور المبتكرة واضحة في البيتين ولعله سابق فيها.

وفي دراسة متأنية لحكمة الأوسي تحدث فيها عن الشاعر وخصائصه الفنية، وخلص إلى القول إلى أن أبرز ما يتصف به شعر الغزال هو واقعيته التعبيرية، كما يبدو ذلك في أشعاره التي يصف فيها رحلته وفي أشعاره عن المرأة، ولكننا نجده أحياناً أخرى يخالف هذا المنهج فيلجأ إلى الاتجاه السائد لدى الشعراء باستخدام حسن التعليل في أبياته.

ابن شُهيدٍ الاندلسي

المقدمة:

رغم حياة ابن شُهيدٍ اللاهية، التي غلبت عليها البطالة والفراغ، إلا أنه شهد له بالنباهة والمقدرة الأدبية، غير واحد من الأدباء والنقاد القدماء منهم والمحدثين وحتى المستشرقين، وسنعرض لبعض الأقوال والآراء التي قيلت في أدب هذا الرجل، أو الأحكام التي تنبئ عن مكانته ومقامه في الأدب، وسأعرض أقوال العرب القدماء والمحدثين، ثم أختم مقالي بأقوال المستشرقين.

نسبه:

"هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شُهيدٍ " الأشجعي الأندلسي القرطبي"، وهو من ولد الوضاح بن رزاح الذي كان مع الضحاك بن قيس يوم المرج.

حياته:

ولد أبو عامر ابن شُهيدٍ سنة ٣٨٢هـ، ٩٩٢م في مدينة قرطبة في القسم الشرقي حي مينة الصغيرة، في الدار المعروفة بدار النعمان.

وعاش ابن شُهيدٍ في أحضان النعيم والرفاهية كما هي الحال في أبناء الوزراء والأمراء، فنشأ نشأة مترفة في قصر أبيه الوزير عبد الملك" وشهد عزّ أبيه وثراءهم وقصورهم، وكان طفلا شديد الحساسية، فانطبعت في ذاكرته منذ الصغر ذكريات لم تنطمس من بعد، نلمس فيها الثورة الخبيئة على أبيه والتشوق إلى الثراء وحب الظهور، واستشعار السيادة في ذلك الدور الكبير في حياته.

ويروي لنا ابن بسام أنه لعب بالذهب صغيرا كما يقول - ابن شُهيدٍ - عن نفسه "صرت بين يدي المنصور في يوم مطير، وأنا ابن خمس، أذكر ذلك لما كان بالأمس وكان من إكرامه لي، ولطيف اهتمامه بي، ما يطول به الكتاب، ولا يحتمل الخطاب، وعينيه، ومحضه، وصريحه وزبده: أنه وهبني يوما تفاحة كانت بين يديه كبيرة، ورآني أنظر إليها نظر الكلف... و دعا الناصر ومعه فتى سمعتهم يكنونه أبا شاكر، فقال له: أحمله إلى أمك، وأرفق به في أمك، فأخذ بيدي أمامه، وابتدرا يسيران قدامه... وأمرت السيدة بألف تحمل معي عن نفسها، و ثلاثة آلاف عن سيدها، فانصرفت بالغنى".

ففي مثل هذه الظروف الاجتماعية عاش ابن شُهيدٍ وحظي بمكانة رائعة وهذا ما جعله يكن الحب الكثير للعامريين، وخاصة المنصور ابن أبي عامر الذي وفر له كل وسائل الراحة، فراح يصف ذلك قائلا: "فنفضت تنفض العقاب وهزتني أريحة كأريحة الشباب، وجعل يوهمني أني ملكت الأرض بجسمي...

وقلت المجرة عيني أن تكون منديلا، وصغر الزبرقان عندي أن تأخذه إكليلا، فقلت: هكذا تكون الأكلوك، وبمثل هذا انتفخ الملوك".

وبعد أن زال ملك العامريين، زالت مع ملكهم تلك الراحة والرفاهية التي عاش في ظلها ابن شهيد، ونظرا لتعوده على تلك الحياة، فقد راح يلتمسها عند غيرهم، فظل من ملك إلى آخر لكي يجد ما فقده من عزّ وملك ضائع يقول إحسان عباس "قال: أن الفتنة لم تتركه منطويا على نفسه ولكنها قتلت فيه طموح الطفولة والصبا إلى السيادة فأخذت الحاجة وحدها تدفعه -كما دفعت ابن دراج- إلى مدح هذا أو ذاك ممن تعاقبوا على حكم المدينة، مع شعور عميق بأن العامريين وحدهم هم الذين كانوا يستطيعون أن يفردوه ويميزوا مكانته بين ذوي الفهوم".

و نستنتج من كله هذا أن "ابن شُهيدٍ كان سليل أسرة عرفت بالأدب والشعر فقد كان جده وجد أبيه شاعرا وكما كان أخوه وعمه شاعران، وكذلك كان أبو عامر شاعرا وكان شعره يوحي لنا معرفة صفاته العامة والخاصة، ويدل على أن الرجل كان أصيل الملكة، عزيز النتاج مرن الشاعرية، فهو قد قال الشعر في أكثر الأغراض، وخاصة الطبيعة والخمر والغزل، ولم يلزم ابن شُهيدٍ اتجاها معينا، وإنما سار في كل الاتجاهات حسب الأغراض والملابسات والمواقف، وإن كان أميل إلى الاتجاهين المحدث والجديد المحافظ".

هذا النتاج المتنوع لابن شُهيد لم يقم أحد بجمعه في حياة ابن شهيد، وربما لأنه وافته منيته في شبابه المبكر وهو السنّ الذي لم يفكر الشاعر عادة بجمع نتاجه، ثم الظروف السياسية والاجتماعية في الأندلس عامة وفي قرطبة خاصة.

صفاته و أخلاقه:

وقد كان ابن شُهيدٍ يعاني من تلك العاهة -العمى- التي أصبحت مجالا للحط من شأنه عند حاسديه أمثال ابن الحناط الأعمى،٧٨ وربما كان لهذه الصفة أثر بعيد في تكييف علاقته بالناس، ومحاولته الترفع عن نظرائه ومعاصريه، وإساءة الظن فيهم.

أما **أخلاقه** فقد كان رجلا غلبت عليه البطالة وكان ملازما للكأس حتى قال في وصف حاله الحجازي: «كان ألزم للكأس من الأخبار بالأغصان، وأولع بها من خيال الواصل بالهجران.. فحط هواه شديدا حتى أسقط شرفه ووهم نفسه راضيا في ذلك ما يلذ، فلم يقصر من مصيبة ولا ارتكاب قبيحة» وما يتضح من أقوال الحجازي أنه وصفه باللهو والمجون وهذه صفة غالبة عليه ملازمة له، إذ لم يبال بضياع دينه أو مروءته فأطاع هواه ونفسه في شرب الخمور وارتكاب القبائح حتى وصفه ابن بسام بقوله: "كان بقرطبة في وقته وبراعة ظرفه خليعها المنهمك في بطالته، وأعجب الناس تفاوتا بين قوله وفعله، وأحطهم في هو نفسه أهتكهم لعرضه

وأجرئهم على خالقه" وابن بسام هنا ربما يشير إلى الظرف الذي عاش فيها ابن شهيد وقد كان له أثر أقوى على حياته، وقد اقترنت بابن شهيد صفة نبيلة تمثلت في الجود والكرم الذي عرف به في أمانة، فكان يبذل العطاء للمستحقين وذوي الحاجة فقد روى ابن بسام أن ابن حسان قال عنه: "وكان له

في الكرم والجود انهمك، مع شرف وبطالة حتى شارف الإملاق فمضى على هذا السبيل رحمه الله".

وقد وردت قصص كثيرة تحكي كرم الرجل وجوده منها ما "رواه ابن دحية" عن قصة الرجل الذي أتى من طليطلة هو وأبناؤه يلتمسون المساعدة والعون من الكرماء فأرشده الناس إلى بيت أبي عامر ابن شهيد، فأجزل له العطاء، فمنحه أموالا، وأعطاه دارا وملابس فاخرة..

و هذا ما يدل على كرم الرجل وكثرة بذله للأموال، وكذلك ما نستشفه من قول ابن حيان أنه كان كثير الإسراف والتبذير إلى حد الإملاق.

كذلك عرف الرجل بسداد رأيه وحصافته، وكان القوم يستشيرونه في سنون دنياهم وهذا ما يرويه لنا ابن بسام كذلك عن ابن حيان أنه قال "كان أصح الناس رأيا لمن استشاره، وأضلهم عنه في ذاته وأشدهم جناية على حالة ونصابه" وهذا ما يوحي بأنه كان له مكانة حيث كان يستشار.

وإضافة إلى تلك الصفات كان أبو عامر كما تشير كتب الأدب والتاريخ يميل كثيرا إلى الفكاهة والهزل لذلك كان محبا إلى نفوس أصدقائه، يأنسون بمجلسه، ومثل هذه المجالس تحتاج إلى الفكاهات والنوادر التي تضفي على المجلس الفرحة والمتعة وكثيرا من اللهو وهذا ما يظهر على الكثير من شعره ونثره، وربما كان للحياة في ذلك الوقت دور في هذه السمة.

العزة و الافتخار:

ومن أبرز الصفات التي اتصف بها ابن شُهيدٍ في حياته العزة والافتخار سواء بأسرته أو نسبه، ومجد أجداده فنجده يخاطب نفسه مفتخرا بنسبه "تكلتك المكارم يا ابن الأكارم، ألست من أشجع في العلا ومن شهيد في الذرى"

كما كان يفتخر بنسبه الشُهيدي الأشجعي وفي هذا يقول:

مِنْ شَهِيدٍ في سِرِّها ثُمَّ مِنْ أَشْجَعَ فِي السِّرِّ مِن لُبابِ اللُّبابِ

شيوخه:

من خلال قراءتي لكتاب ابن شهيد التوابع والزوابع، ومن خلال ما عثرت عليه في القسم الأول من كتاب الذخيرة لابن بسام الذي كتب كثيرا عن ابن شهيد لم أعثر على شيخ من المشايخ التي جلس إليها وهذا ما يورده ابن بسام على لسان ابن شهيد عندما يقول .. "فأتبعت الدواوين وجلست إلى الأساتيذ، فقبض على عرق الفهم، ودرّ لي شريان العلم روحانية" ويقول عبد السالم المعطاني أنّ عدم معرفة شيوخ ابن شهيد ألصقت به عيبا عند ناقديه في ذلك الزمان كما يقول في رسالة التوابع والزوابع على لسان ابن الإفليلي أحد أعدائه "فتى لم أعرف على من قرأ" مما يدل على أنّ هذا كان يضايقه كثيرا.

لكن ما أفاد ابن شهيد كثيراً هو حضوره تلك المجالس الأدبية كما استفاد من أبيه ومن مطالعته للكتب وقد أشار إلى ذلك بقوله: " وقليل الالتماح من النظر يزيدني ويسر المطالعة من الكتب يفيدني، إذا صادف شرّ العلم طبقه".

كما استفاد كثيراً من صديقه وحميمه ابن حزم الذي كان دائماً ملازماً له وكان كل واحد منهما معجباً بالآخر ٠

وقد ذكر المقري في نفح الطيب ابن شهيد وابن حزم كانا يتبادلان الزيارات "وحكي أنّ الحافظ أبا محمد بن حزم قصد أبا عامر ابن شهيد في يوم عز المطر والوحل شديد الريح، فلقيه أبو عامر، وأعظم قصده على تلك الحال وقال له فيا سيدي مثلك يقصدني في هذا اليوم؛ فأنشده أبياتاً "

اثاره:

1) كتاب "كشف الدك وإيضاح الشك": وهو كتاب مفقود ولكن فيما يبدو أنه في علم الحيل والخرافات.
2) كتاب "حانوت عطّار": وهو كتاب مفقود كذلك وقد ذكر سالم المعطاني أنه ترد منه بعض النصوص في جذوة المقتبس، والمغرب، وأحكام متعة الكلام.

وذكر في بعض الكتب باسم "حانوت العطار" وهو كتاب أدبي نقدي يقول عنه الدكتور إحسان عباس: " فإنه لم يصلنا ولكن الحميدي نقل عنه في جذوة المقتبس" وتدل نقوله أنّ الكتاب تراجم لشعراء الأندلس، فهو سابق لكتاب الأنموذج في هذا المضمار.

وقد علق سالم المعطاني على قول إحسان عباس قائلاً: "لكن في الواقع كتاب حانوت عطار لم يكن مقتصراً على شعراء الأندلس -كما يقول الدكتور- وإنما تكلم المؤلف فيه عن شعراء المشرق مثل أبي تمام الطائي، وأبي الطيب المتنبي والدليل على ذلك قول الكلاعي: إن اختياري القصيدة أن تكون نحو الأربعين بيتاً، لأن الطول في الغالب مملول، وهذا العدد من أبيات القصيدة كان غاية الطائي والجعفري في أكثر قصائدهما، وربما زعم بعضهم أن ذلك من هذين الفحلين لضيق، وقد أشار إلى شيء من هذا أبو عامر في حانوت عطار.

3) "رسالة التوابع والزوابع": وهي أهم عمل قام به ابن شهيد، وقد اكتسب به شهرة ملأت الآفاق قديماً وحديثاً.

وهي عبارة عن رحلة خيالية قام بها ابن شهيد إلى عالم الجن وتلقى أدباء المشرق والمغرب، وأراد أن يتفوق عليهم، وينتزع اعترافهم بذلك.

4) رسائل ابن شهيد الأدبية: هناك جملة من الرسائل الأدبية التي كتبها ابن شهيد في بعض عناصر الطبيعة مثل: رسالة وصف البرد والنار والحطب ورسالة تدور حول وصف الحلوى وأصنافها، كما له رسائل كثيرة في وصف المخلوقات فمنها...

للبرغوث والبعوضة، ووصفه للشطب، وله وصف جارية، وقد أورد ابن بسام في كتاب الذخيرة الكثير من هذه الرسائل.

٥) الرسائل النقدية: وتعد من أهم الأعمال التي قام بها ابن شهيد لأنها تحمل الكثير من الآراء النقدية القيمة في ميدان النقد وقد جمع ابن بسام الكثير من هذه الفصول.
٦) كما ترك ابن شهيد ديوان شعر جمعه كل من المستشرق الانجليزي المسلم يعقوب زكي، وجمعه المستشرق شارل بلا عام ١٩٦٣م وكتب مقدمته الأستاذ بطرس البستاني.

كما ترك ابن شهيد الكثير من الرسائل التي أرسلها إلى الوزراء والأمراء في ذلك الزمان مثال ذلك ما رواه ابن بسام بقوله: "وله أخرى إلى الوزيرين عباس: ولما أسندت إلى هضبة لا أغرام معها، واستكملت بعروة لا انفصال لها، إذ ورد علي كتاب رسولي إليك." و ظاهر قول ابن بسام وله قولاً آخر يدل على أن ابن شهيد له الكثير مثل هذه الرسائل.

وفاته:

يبدو أن أيام ابن شهيد الأخيرة كانت صعبة فقد لازمه المرض مدة حتى قضى عليه فقد "بدأ ابن شهيد المرض في مستهل ذي القعدة سنة ٤٢٥هـ ولازمه حتى قضى نحبه، ومعنى هذا أنه ظل مريضاً سبعة أشهر كاملة، قاسى فيها العذاب الشديد."

لكن رغم أن المرض لازمه هذه المدة وطال به لم يعدمه الحركة إلا في أيامه الأخيرة ويشير ابن بسام إلى ذلك بقوله: "ولما طال بأبي عامر ألمه وتزايد سقمه، وغلب عليه الفالج الذي عرض له.... لم يعدمه حركة ولا تقلباً، وكان يمشي إلى حاجته على عصى مرة، واعتماداً على إنسان مرة، إلى قبل وفاته بعشرين يوماً فإنه صار حجراً لا يبرح لا يتقلب، ولا يحتمل أن يُحرك لعظيم الأوجاع، مع شدة ضغط الأنفاس، وعدم الصبر، حتى هم بقتل نفسه."

ولما ضاق حال ابن شهيد بدأ يخفف على نفسه بمراسلة أصدقائه، ويشكوا إليهم حاله، وأحياناً يدعوهم إلى تذكره بعد وفاته، وأن يبكوه إذا وضع تحت الثرى، ومن ذلك ما كتبه ابن بسام في الذخيرة، ونقلت من خط الفقيه أبي محمد علي بن حزم الشافي قال: كتب إلي أبو عامر ابن شهيد في علته التي اعتل بها هذه الأبيات[31]:

منها قوله:

ولما رأيت العيش ولى برأسه وأيقنت أن الموت لا شك لاحقي

تمنيت أني ساكن في غيابة بأعلى مهب الريح في رأس شاهق

ولما أتم ابن شهيد أبياته أجابه ابن حزم بأبيات منها:

أبا عامرٍ ناديت خلاً مصافياً يفديك من دهم الخطوب الطوارف

وألقيت قلباً مخلصاً لكم محضاً بودّك موصول القرى والعلائق

و هذا يوحي بأن ابن شهيد على ما أصابه في جسمه من وهن، بقي ذهنه متفتحاً وصدر منه شعر كثير في فترة المرض، فهو وإن صدر من نفس يائسة متألمة لكنه على حيوية شعرية غير عادية.

وقبل أن يتوفى الرجل أوصى بكثير من الوصايا، ويقول عبد الله سالم المعطاني أن هذه الوصايا "الغريبة التي تدل على أن الرجل ندم على ما فات فأراد أن يكفر عن ذنوبه ولو ببعض الشيء"

ومن الوصايا التي أوصى بها:

١- أن يصلي علي الرجل الصالح أبو عمر الحصار فتغيب إذ دعي وصلى عليه جهور بن جهور أبو الحزم صاحب قرطبة حينئذ.

٢- أن يسن التراب عليه دون لبن أو خشب فلم ينفذ هذا أيضا.

٣- أن يدفن بجنب صديقه أبي الوليد الرجالي.

٤- أن تكتب هذه الآيات والكلمات على قبره: "بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون" هذا قبر أحمد بن عبد الملك بن شهيد المذنب، مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: و أن محمدا عبده ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبر ثم تاريخ الوفاة بالشهر والسنة.

وذكر المستشرق شارل بلا قائلا "أمر أبو عامر أن يكتب على قبره في لوح رخام بضعة أسطر من النثر وهذا النظم :

وذكر **ابن بسام** أنه توفي في يوم الجمعة آخر يوم من جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة، ولم يشهد على قبر أحد ما شهد على قبره من البكاء والعويل، وأنشد على قبره المراثي جملة موفورة لطوائف كثيرة منها مرثية ابن أبي الأصبع التي أورد ابن بسام منها أبياتا في الذخيرة.

هذه نبذة يسيرة عن حياة أبي عامر ابن شهيد وما تخللها من ظروف وأحداث رأيت أنه من الضروري أن تتصدر هذا المقال، فقد يكون من الضروري لدراسة أي إبداع لأديب ما للتعرف على حياة صاحبه لأن ذلك يساعد في التعريف على بعض الشروط التاريخية والذاتية التي جعلت تجربة هذا الشاعر الكاتب منفردة بل ربما كان لهذه الشروط تأثيرات حاسمة في تشكيل الخلفية الأدبية، وبعد التعرف على حياة ابن شهيد الأندلسي وما تخللها من أحداث سياسية واجتماعية سأحاول إلقاء نظرة على آراء العلماء في هذا الأديب.

ابن زيدون

وهو من أشهر شعراء العصر الأندلسي لما له من قصائد طوال بكافة فنون الشعر، فله من الغزل العفيف قصائد غاية في الروعة، بالإضافة إلى قصائده في الفخر وفي الرثاء، وقد اشتهر ابن زيدون أيضا في وصف الطبيعة، نتيجة لنشأته في وسط ربوع قرطبة، حيث الجمال الساحر والطبيعة الخلابة، لذلك نقدم حياة الشاعر ابن زيدون عن قرب.

نسبه ونشأته:

أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي، فهو عربي صميد ينتهي نسبه إلى بني مخزوم قبيلة خالد بن الوليد. وزير، كاتب، شاعر. ولد في قرطبة عام 394ه / 1003م ، وكان أبوه فيها قاضيًا وجيهًا (405 - 354ه)، جمّ العلم والأدب، فنشأ ابن زيدون ميالا إليهما. وساعده على الانكباب على العلم والتحصيل نشأته في قرطبة، التي كانت موئل العلوم والآداب في الأندلس. فأخذ العلم والأدب عن أبيه ومشاهير العلماء في مدينته، على أنّ تلمذته لأبيه لم تطل، فقد توفي وابنه في الحادية عشرة من عمره سنة (405 ه /1014م).

تمتع ابن زيدون بالفطانة والذكاء والنبوغ في كافة ربوع العلوم، والأهم من ذلك نبوغه في لشعر والنظم، فحفظ كثيرًا من آثار الأدباء وأخبارهم، وأمثال العرب وحوادثهم، ومسائل اللغة، وأصبح بذلك علمًا من أعلام العلم والأدب في قرطبة، ونال شهرة واسعة في مجالسها الأدبية والاجتماعية. وكان لبعض النساء المثقفات أثر عظيم في هذه المجالس، ولبعضهن منتديات أدبية، فأثر ذلك في أخلاق الأدباء، وتسابقوا إلى نيل الحظوة عند أولئك النساء الأدبيات، وظهرت آثار ذلك في نثر هم ونظمهم، ومنهم ابن زيدون.

الدور السياسي لابن زيدون:

ومما يميز ابن زيدون منذ صغره أنه كان ذا شخصية بارزة في علاقاته مع الناس، ثم كان منذ شبابه ذا طموح سياسي قوي، أخذ عليه مسالكه ووجوه اهتمامه، فقد عاش ابن زيدون حياة الصبا في قرطبة في أحلك عهودها وأظلم عصورها في عهد غروب شمس الخلافة الأموية في الأندلس وزوال نورها وانطفاء نجمها، فترة التناحر على الخلافة وإثارة الفتن وبعث الاضطرابات وانتشار الدسائس والانقلابات.

وأسهم ابن زيدون في تأسيس دولة بني جهور بقرطبة، حيث اشترك في ثورة أبي الحزم بن جهور على آخر خلفاء بني أمية لقلب الحكم، فبوأه ذلك مكانة كبيرة عند ابن جهور (من ملوك لطوائف في الأندلس)، إذ جعل ابن زيدون كاتبه ووزيره، ولمّا يبلغ الثلاثين من العمر، وكان السفير بينه وبين سائر ملوك الأندلس، إلا أن هذه النعمة لم تطل بابن زيدون، إذ إن حساده ومنافسيه راحوا يكيدون له عند ابن جهور، ولاسيما ابن عبدوس، الذي كان ينافسه على المركز

السياسي، وعلى قلب ولادة التي كان يحبها كل منهما. فما زالوا كذلك حتى أو غروا عليه قلب أبي الحزم بن جهور فألقاه في قرارة السجن زهاء عام ونصف.

واستظهر بعض المستشرقين أن سبب حبسه اتهامه بمؤامرة لإرجاع الأمويين إلى الحكم. لكن ذلك لم يثبت تاريخيا. ثم إن ابن زيدون نفسه ذكر في بعض قصائده طول مكثه في السجن في غير ذنب جناه، وما هي إلا دسائس ووشايات. ومن ذلك قوله:

لم تطو برد شبابي كبرة، وأرى   برق المشيب اعتلى في عارض الشعر

قبل الثلاثين، إذ عهد الصبا كثب

وللشبيبة غصن غير مهتصر

إن طال في السجن إيداعي ، فلا عجب

قد يودع الجفن حد الصارم الذكر

وإن يثبط أبا الحزم الرضى قدر

عن كشف ضري، فلا عتب على القدر

ما للذنوب التي جاني كبائرها

غيري، يحملني أوزارها وزري ؟

وهكذا أخذ ابن زيدون يستعطف ابن جهور بعدة قصائد ورسائل عجيبة، منها رسالته المعروفة بالجدية. ولكنها لم تلن له قلبا . وأخيرًا هرب ابن زيدون من سجنه واختفى بقرطبة، يتنقل فيها من منزل إلى منزل، وقد يذهب إلى ضاحيتها "الزهراء" ليتوارى في نواحيها، ويتسلى برؤية ما فيها، وهناك كان يتذكر ولادة ويتشوق إليها، ويصف قلقه، ويعاتبها على نسيان عهده. ومما كتبه إليها وهو على هذه الحال قصيدته القافية المشهورة التي يقول فيها:

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا

والأفق طلق، ووجه الأرض قد راقا

وللنسيم اعتلال في أصائله

كأنه رق لي فاعتل إشفاقا

يوم كأيام لذات لنا انصرمت

بتنا لها حين نام الدهر سراقا

ثم استجار بصديقه أبي الوليد بن أبي الحزم بن جهور مستشفعًا به إلى أبيه فشفعه، وبقي في قرطبة. وفي عام 435هـ مات أبو الحزم بن جهور وخلفه ابنه أبو الوليد محمد، فاستوزر ابن زيدون ولكن عقارب الحسد والوشاية عادت فعملت على الكيد له والتفريق بينه وبين صديقه ابن جهور، فخشي عندها أن يلقى من الابن ما لقى من الأب ففر من قرطبة، وأخذ يتنقل في أرجاء الأندلس إلى أن استقر به الأمر أخيرا عام 441هـ، عند بني عباد في إشبيلية. وكان يحكمها

المعتضد بن عباد، وكان المعتضد شاعرًا، فزاد الشعر ابن زيدون قيمة في نظره واستراحت نفس ابن زيدون عند المعتضد، وأعلى المعتضد مكانته وقرب مجلسه وأدناه، فألقى إليه مقاليد وزارته، وأصبح صاحب أمره ونهيه.

ففي إشبيلية بدأ الشاعر حياة جديدة وصل فيها إلى أعلى درجات المجد الأدبي والاجتماعي والسياسي. ففي إشبيلية برز ابن زيدون، فلم يعد شاعرا فقط، بل أصبح شخصية بارزة من شخصيات الدولة الإشبيلية وحصل على اللقب الرفيع "ذو الوزارتين" (يعني السيف والقلم) الذي لم يكن يمنح إلا لأرفع شخصية في الدولة وأقربها إلى الملك والحاكم. ومن المؤكد أنّ دور ابن زيدون في بلاط المعتضد في هذه الفترة الطويلة التي امتدت عشرين عاما لم يكن دور شاعر سيط، ولا حتى دور كاتب مقرّب، وإنّما كان الوزير الأول للمعتضد ومحل ثقته واعتماده ومساعده الأيمن.

فقد أقام ابن زيدون في كنف المعتضد مدة فجاء جانب من شعره سجلًا حافلًا ببعض حوادثه لجسام. ولم يترك ابن زيدون مناسبة عيد إلا انتهز الفرصة لمدح المعتضد، وبيان سياسته لحصيفة وحروبه المظفرة على خصومه.

وظل ابن زيدون في بلاط المعتضد مرعي الجانب كريم المنزلة متقلّدًا للوزارة لدى المعتضد حتى توفي الأخير وتولى بعده ابنه المعتمد الذي زاد في إكرام ابن زيدون. فقد أبقى المعتمد بن عباد ابن زيدون أنيسًا وجليسًا، وكان لتصرفه في شؤون النظم يتبادل القصائد معه. وقد انتقل لمعتمد من إشبيلية إلى قرطبة وجعلها مقر ملكه بعد أن استولى عليها بتزيين ابن زيدون وهمّته، وبذلك استطاع هذا أن يرجع إلى بلده قرطبة ليعيش فيها بقية عمره. ولقد سعى حساد ابن زيدون وخصومه في إسقاطه عن مكانته وإبعاده عن بلاط بني عباد، حتى أشار بعضهم على المعتمد أن يرسل ابن زيدون لتهدئة الثائرة التي قام بها العامة ضد اليهود في إشبيلية، حيث لا يمكن أن يقضي عليها إلا ابن زيدون لحب أهل إشبيلية له ومكانته عندهم، فأمره المعتمد بالسفر إليها، فسار ابن زيدون على رأس الحملة على مضض وقد أثقلته الأمراض وأوهنت جلده الأسقام، ثم الحق به ابنه أبا بكر، محمدًا، الذي كان قد استخلفه في قرطبة، فكأن ابنه قد سافر إلى إشبيلية ليعتني بدفن أبيه وتشييعه فيها، حيث وافاه الأجل بعد أن أنجز مهمته وذلك في صدر رجب 463هـ/ 1070م.

توفي ابن زيدون عن عمر يناهز 68 عاما من بعد رحلة عطائه بالشعر والأدب، حيث برع بكل فنون وأغراض الشعر العربي، وامتاز بجزالة اللفظ والحس المرهف، الذي يعبر عن مدى لباقة هذا الشاعر وحسن تربيته.

شعر شعراء الأندلس:

كان ابن زيدون بلا شك أبرز شاعر أندلسي من حيث مستوى شعره. ويقع في الذروة بين شعراء الأندلس من حيث ملكات التعبير الأدبي وما صاحبها من إبداع فنّي، بل إنّه يحتل في لشعر العربي كله مكانًا متميزًا ومهمًا جدًا. وقد أشاد به كل من تحدثوا عنه أو ترجموا له من لسابقين. وإنّ شعره يدل على أنّه واسع الاطلاع على شعر المشرق، وشعر من قبله من الأندلسيين وأنّه أفاد من كل ذلك مع احتفاظه بشخصيته المميزة في شعره وعنايته بابراز ذاته في أعماله الشعرية. قال عنه الدكتور شوقي ضيف "كان ابن زيدون يحسن ضرب الخواطر والمعاني القديمة أو الموروثة في عُملة أندلسية جديدة، فيها الفن وبهجة الشعر وما يفصح عن أصالته وشخصيته".

ومن يقرأ شعر ابن زيدون ونثره، ويتقصى أخباره وأخبار عصره يجد أنه يرقى إلى مرتبة زعماء البيان العربي عامةً، وأنه إمام من أئمة عصره. فقد طارت شهرته شاعرًا وكاتبًا، وقال فيه ابن بسام الأندلسي: "كان أبو الوليد غاية منثور ومنظوم، وخاتمة شعراء بني مخزوم".

وصارت رواية الناس لشعره من أدوات استكمال الظّرْف فقال بعض الأدباء: "من لبس البياض، وتختّم بالعقيق، وتفقّه للشافعي، وروى شعر ابن زيدون، فقد استكمل الظّرف".

ولا غرو ففي شعره ذلك اللون الرائع من الفنية الشعرية المحببة التي تمتزج بالنفس، وتهيمن على القلب، لافتتانه في الأداء والتعبير، وإبداعه في تصوير أروع المعاني الجديدة، وأدق لخوالج النفسية، مع طبيعة
ممحة، لا التواء فيها ولا تكلف.
ولم يتجاوز الصواب من لقبه ب "بحتريّ المغرب" تشبيهًا له بالشاعر العباسي أبي عبادة لبحتري الذي يوصف شعره بسلاسل الذهب، لعذوبته ورقته وجمال صوره وحلاوة موسيقاه.

ديوان شعر ابن زيدون:

ولابن زيدون ديوان شعر طبع مرارًا، وأجود طبعاته وأكملها تلك التي حققها وشرحها علي عبد العظيم وطبعت في مصر سنة 1957م. ويضم هذا الديوان أكثر فنون الشعر المعروفة، ولكن بعضها أظهر من بعض بحسب طبيعة الشاعر نفسه والمؤثرات في حياته وبينته وأدبه، ويُلاحظ أن ابن زيدون تغزل وافتخر، ومدح واستعطف، ورثى وهجا، وشكا الدهر وغدر الناس، ووصف الطبيعة ومجالس الخمر، ومزج ذلك بأوصاف المرأة مزجًا عجيبًا ومبتكرًا، كما نظم في الإخوانيات والمداعبات. ويشغل الغزل أكبر قسم من ديوانه، وبعده تأتي الشكوى من الدهر وغدر الناس، ثم الاستعطاف والمدح، فسائر الأغراض الأخرى.
ويلاحظ على ابن زيدون في هذه الفنون الشعرية كلها أنه صادق في كل ما ينظم، وأنه يعبر عن تجارب قلبية شخصية عاشها واكتوى بنارها، وأن نفسه موزعة بين عاملين اثنين يعتلجان في

أولهما: عامل الشعور بمكانته وشخصه. وهذا يدفعه إلى الفخر والإدلال بنفسه ومواهبه.

والعامل الثاني: خضوعه لسلطان الحب، أو سلطانه الذي يستوزر له، أو سلطان الدهر، فتراه في أكثر قصائد الاستعطاف والمدح والغزل والشكوى يخضع حينًا ويذلّ، ثم لا نلبث حتى نرى قناته تستقيم، وكبرياءه تستيقظ، فيز هو بنفسه ويفتخر.

غزل ابن زيدون:

فأما غزل ابن زيدون فهو وثيق الصلة بولادة التي أخلص لها الحب، وحافظ على العهد حين لم تحفظ هي ودّه وتغيرت عليه، وأحلت في قلبها منافسه ابن عبدوس لكنه مع ذلك كله بقي يذكرها طوال حياته ساخطًا عليها أو باكيًا لذكراها على الرغم من بعده عنها وانتقاله من قرطبة إلى شبيلية، فأخرج لنا أروع القصائد الغزلية، وألهمته شاعريته الخصبة أسمى ألوان الخيال الرفيع، والغزل الرقيق، وزاد في لهيب حبه تودد خصمه ابن عبدوس إلى ولادة حتى حظي بقلبها وحبها، وحتى حدث شيء من النفور بين ابن زيدون وولادة، وأشهر شعره في ذلك قصيدته التي يقول في مطلعها:

ضْحَى التَّنَائِي بَدِيْلًا مِنْ تَدانِيْنا
وَنَابَ عَنْ طِيْبِ لُقْيَانَا تَجَافِيْنَا
ألا وقد حانَ صُبح البَيْنِ صَبَّحنا
حينٌ فقام بنا للجين ناعينا من مُبلغ المُبْلِسينا بانتزاجهم
حُزنًا مع الدهر لا يَبلى ويُبلينا أن الزمان الذي مازال يضحكنا
أنسا بقربهمُ قد عاد يبكينا إنّها أقوى قصيدة غزلية

غناها المبدعون من شعراء الأندلس التي قال المستشرق الإسباني إميليو غراسيا كومس: "إنّها أجمل قصيدة حب نظمها الأندلسيون المسلمون، وغرة من أبدع غرر الأدب العربي كله عارضها شعراء كثيرون وما زالوا يعارضونها إلى اليوم".

ابن زيدون والطبيعة:
وإنّ ابن زيدون أكثر الشعراء الأندلسيين مزجًا للغزل بالطبيعة. فقد كان لولادة الأثر الكبير في جل نتاجه، وسعيه، واختلف هذا الأثر باختلاف الأغراض التي طرقها، وبتنوع سعاياته في بحر حياته المضطربة. لقد كان حب ابن زيدون لولادة حدثًا مهما في حياة الشاعر كان له أعمق الأثر في إنتاجه الأدبي. وولادة سليلة بيت الخلافة الأموية، وكانت شاعرة أديبة، ومتحدثة بارعة، ماهرة في الموسيقا والغناء، تتصف بجمال فتان، وقد أنشأت لها ندوة أدبية يتسابق إليها الوزراء والأدباء، وشغف بها كثير منهم، وخاصة ابن زيدون، ولم تتزوج حتى توفيت سنة 484ه / 1091م، وقد قاربت المائة. ومما قال فيها:

متى أبثك ما بي
يا راحتي وعذابي
متى ينوب لساني
في شرحه عن كتابي؟
الله يعلم أني
أصبحت فيك لما بي فلا
يطيب منامي
ولا يسوغ شرابي

وأما وصف ابن زيدون فهو جيد بالغ الجودة كان ما يصفه مرتعا لذكرياته التي تعيد إلى فكره صور لياليه الماضية في أحضان الطبيعة وظلالها الوارفة ممتزجة بذكريات هواه، فأتى الوصف ممتزجًا بالغزل. أما فيما عدا ذلك فلم يكن لأوصاف ابن زيدون قيمة تذكر، كوصف لكأس، ووصف العنب، وما إلى ذلك لأنه كان يتصنع فيما يقول، ويتكلف فيما ينظم.

المدح عند ابن زيدون:

وأما مدح ابن زيدون فهو تقليدي، لا يخرج عما ألفه شعراء المشرق ولاسيما البحتري، وممن مدحهم ابن زيدون: أبو الحزم بن جهور، وابنه أبو الوليد بن أبي الحزم، والمعتضد بن عباد، وابنه الملك الشاعر المعتمد بن عباد. وإذا مدح مزج مدحه بالاستعطاف والعتب. وربما افتخر فضله، وربا بنفسه عن أن يكون ألعوبة في أيدي الحوادث، ويرى أن سبب تعسه حقد أعدائه عليه، لما اتصف به من فضل وعلم. وكثير من شعره المدحي في هذه المعاني، كقوله:

لا يهنئ الشامت المرتاحَ خاطرُه
أني معنّى الأماني ضائعُ الخطرِ
هل الرياحُ بنجم الأرض عاصفةٌ
أم الكسوف لغير الشمس والقمرِ؟

ابن زيدون وشكوى الدهر :

وهذا الحديث يتصل أيضًا بما فى شعر ابن زيدون من شكوى الدهر، وهو إنما يشكوه بقلبه وروحه قبل أن يشكوه بلسانه وقلمه، فقد ذاق من الدهر حلوه ومره، وقاسى من الألم وكيد لحسّاد ما يزلزل الصمّ الصلاب، ولا ننسى ما كان لسجنه من أثر في إذكاء قريحته، وإلهاب
قلبه وشعوره، فإذا أضفنا إلى ذلك عزة نفسه وطموحه السياسي الكبير، أدركنا ما يعتلج في نفسه الحساسة المضطرمة من أمواج نفسية صاخبة، تغضب حينًا وتهدأ أحيانًا هدوءًا يشبه ما بعد العاصفة.

ابن زيدون الأديب الأريب

ولقد تألّق نجم ابن زيدون في الكتابة تألّقه في الشعر. كان ابن زيدون كاتبًا بارعًا وناثرًا ماهرًا، ونال مكانة رفيعة في بلاط المعتضد وخاصة بعد وفاة الأديب الكاتب ابن برد، وقد حظي ابن زيدون بإعجاب ورضى المعتضد بعد أن أثبت قدرات واسعة ليس في الأدب فقط وإنّما في لمهام الحكومية التي أسندت إليه، فلم يكن شاعرًا أو كاتبًا فقط، بل كان شخصية لامعة في الحكومة الإشبيلية ونال لقب ذي الوزارتين. فقد كان ابن زيدون مالكًا لعنان الكتابة ملكيته لعنان لشعر.
وكان بارعًا في صوغ الكلام سواء أحاله شعرًا أم نثرًا، وكانت لديه قدرة بديعة في حوكه ونَسْجه.

نثر ابن زيدون

على الرغم من شهرة ابن زيدون الشعرية فقد كان كاتبا بار عا, فإلى جانب ديوان الشعر الذي خلفه لنا، وضم ما وصل إلينا من أشعاره، فقد ترك آثارًا ورسائل نثرية تمثل شخصيته وأدبه وبيئته وعصره، وكانت، كشعره، صادرة عن تجارب صادقة وحوادث عايشها، وكل ذلك لم يكن بعيدًا عن نفسه ومعاناته في الحب، والسجن عامة، وهذه الرسائل هي:

الرسالة الهزلية:

كتبها ابن زيدون على لسان ولادة، وأرسلها إلى ابن عبدوس -الذي كان يزاحمه على حب ولادة- يتهكم بها عليه، وينال منه ويتشفى، ولعل ولادة لم تكلفه كتابتها. وفي الرسالة إقذاع وهجاء، وتكشف عن نفس ابنزيدون الساخطة الحاقدة التي لا تعرف الرحمة. ويبدو تأثره فيها برسالة التربيع والتدوير للجاحظ.
وقد شرح هذه الرسالة الأديب الشاعر ابن نباتة (ت 768ه) في كتاب سماه "سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون" وقد طبع غير مرة، ونقتطف من أول تلك الرسالة قول ابن زيدون:
"أما بعد، أيها المصاب بعقله، المورَّط بجهله، البيّنُ سقَطُه، الفاحش غلَطُه، العاثر في ذيل اغترار ه، الأعمى عن شمس نهاره، الساقط سقوط الذباب على الشراب، المتهافت تهافت الفراش إلى الشهاب، فإن العُجْب أكذبُ، ومعرفةَ المرء نفسَه أصوبُ. وإنك راسلتني مستهديًا من صلتي ما خلت منه أيدي أمثالك .."

الرسالة الجديّة:

كتبها ابن زيدون في سجنه إلى أبي الحزم بن جهور، يستعطفه بها، ويبرئ نفسه من التهمة التي كالَها له أعداؤه. وقد آثار هذا الحبس في نفسه عاطفة فنية جديدة رققت من خياله الشعري وأثارت آلامه. ولهذه الرسالة شهرة كبيرة أيضًا في الأدب العربي. وقد شرحها العلامة الصفدي (764ه) في كتاب سماه "تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون"، ونقتطف من مطلعها قوله مخاطبًا ابن جهور :

"يا مولاي وسيدي الذي ودادي له، واعتمادي عليه، واعتدادي به، وامتدادي منه، ومن أبقاه الله تعالى ماضيَ حدّ العزم، واريَ زند الأمل، ثابت عهد النعمة. إن سلبتَني أعزّك الله لباس نعمائك وعطّلتَني من حلّي إيناسك، وغضضت عني طرف حمايتك، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك، وسمع الأصم ثنائي عليك، فلا غرو، قد يغصّ بالماء شاربه، ويقتل الدواءُ المستشفيَ به، ويؤتى الحذرُ من مامنه".
وقد اشتهر ابن زيدون بهاتين الرسالتين لجودة أسلوبهما النادر المثال، ولاحتوائهما على كثير من الأسماء التاريخية، والأمثال العربية، والأبيات المختارة السائرة. وهاتان الرسالتان صورة لثقافة ابن زيدون وفكره، وهو لا يجري فيهما على سنن واحد في الأسلوب والطريقة، ونراه يكلف بالسجع والصنعة في رسالته الهزلية، في حين يرسل نفسه على سجيتها في رسالته لجدية ولا يحرص على السجع حرصه عليه في الرسالة الاولى.

رسائل أخرى:

وإلى جانب هاتين الرسالتين الطويلتين، رسائل أخرى لم تبلغ شهرتهما أوردها ابن بسام لشنتريني في كتابه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" أو مختارات منها، وعددها خمس رسائل متفاوتة في طولها، وهي:
الرسالة البكرية: كتبها ابن زيدون إلى أستاذه وصديقه أبي بكر بن مُسَلَّم النحوي، عاتبًا وآملًا وشارخًا موقفه، وأتبعها بقصيدة مؤثرة، والرسالة المظفرية: كتبها إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر بن الأفطس، أمير بطليوس، مستشفعًا متوددًا، والرسالة العامرية: كتبها من قرطبة إلى صديقه أبي عامر بن مسلمة بإشبيلية، والرسالة العبّادية: كتبها إلى المعتضد بن عباد (الأب)، والرسالة العبّادية (رسالة ثانية): كتبها إلى المعتضد بن عباد بعد أن غادره إلى قرطبة، وقطعة نثرية بعنوان "ليلة نعيم" وردت في كتاب الذخيرة أيضًا، وصف فيها ابن زيدون ليلة طواها مع ولادة.
وهذه الرسائل والنصوص النثرية كلها ضمّها ديوان ابن زيدون مجموعةً إلى قصائد الديوان لذي سبق ذكره والذي جاء بعنوان: "ديوان ابن زيدون ورسائله".
ولا بد من الإشارة إلى أن المقّري ذكر في "نفح الطيب" أن لابن زيدون كتابًا مفردًا جامعا في تاريخ خلفاء بني أمية بالأندلس، سماه "التبيين على منزع التعيين في خلفاء المشرق للمسعودي" وقد ضاع كتاب المسعودي كما ضاع كتاب ابن زيدون ولم يبق منه إلا مقطوعتان حفظهما لنا نفح الطيب، وأوردها علي عبد العظيم في "ديوان ابن زيدون ورسائله" نقلا عن "النفح".
وقوله "على منزع" يعني "على منهج".
هذه حياة شاعر ناثر عظيم وهي حياة أمة في صورة شاعر. ففي حياته العامة صورة واضحة كل الوضوح لما كان عليه عصره من تفكك سياسي واضطراب في الحكم وتنافس، بل وتناحر بين أمراء وحكام الأندلس بعد أن تفرقت كلمتهم. وفي حياته الخاصة صورة ناطقة لما كان عليه لمجتمع الأندلسي من تذوق أدبي عالٍ وحب للشعر والجمال.
كما أننا يمكن أن نتلمس في حياة ابن زيدون مؤثرات ثلاثة اجتمعت على تكوين شخصيته وصهرها في بوتقة واحدة، وكان لها أثرها البالغ في حياته وفي أدبه، شعره ونثره، وهي:
طموحه السياسي، مع ما تبعه من أحداث سياسية وتقلبات مختلفة. حبه لولادة وتعلّقه بها طوال حياته. سجنه الذي أمضّه وآلمه، وأذكى شاعريته وحرّك أعماق نفسه.
وبذلك كله بلغ ابن زيدون في حياته درجة عالية من الشهرة وذيوع الصيت، فكان الوزير المجلّي، والمحب المخلص، والسجين المعتدّ بنفسه كل الاعتداد، والصابر كل الصبر، كما كان الشاعر المجيد والناثر البليغ، فحمل لواء الزعامتين في النظم والنثر، وقلما نجد إنسانًا يبدع فيهما معًا ويجيد كل الإجادة. وإلى جانب ذلك كله كان أدبه مرآة صادقة لأدب عصره الزاهي وثقافته من جهة، ولسيرة حياته وتقلباته من جهة أخرى، فضلًا عن مزايا شخصيةٍ كان ابن زيدون يتمتع

بها من حسن الروية، وسرعة البديهة وقوة الذلاقة، وقدرة على تصوير ما يشعر به، وعلى التعبير عما يجول في خاطره شعرًا أو نثرًا.
هكذا عاش ابن زيدون حياته بكل جوانبها، وقاسى جميع المآسي. وإذا صح أنّه كان فعلا متيمًا بولادة، التي قاسى من فراقها الدائم، فيجب أن تضاف مأساته الخاصة إلى الصورة الشاملة للصراع السياسي الدائر حول الشاعر. حياة ابن زيدون ترسم صورة لعصر من أكثر عصور الأندلس إثارة وهو عصر ملوك الطوائف.

الأغراض الشعرية لابن زيدون

يُعدُّ ابن زيدون من أبرز شعراء الأندلس الذين أبدعوا في مختلف الأغراض الشعرية، فجمع بين العاطفة الصادقة والبلاغة الرفيعة، مما جعل شعره مرآة تعكس مشاعره الشخصية وتفاعله مع الأحداث السياسية والاجتماعية في عصره. وقد تنوعت أغراضه الشعرية بين الغزل والرثاء والمدح والهجاء، فضلًا عن الشعر السياسي الذي يعكس صراعات عصره.
الغزل العذري
يُعتبر الغزل من أبرز الأغراض التي برع فيها ابن زيدون، حيث عبر عن حبه العفيف لولادة بنت المستكفي بأسلوب يجمع بين الرقة والعذوبة. وقد اتسم غزله بالصدق العاطفي، بعيدًا عن التكلف، فكان يعبر عن شوقه وألمه بلهجةٍ صادقة تلامس القلب. ومن أشهر ما قاله في هذا لسياق قصيدته النونية التي مطلعها:

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلًا مِنْ تَدَانِينَا
وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا

ففي هذه الأبيات يصور ابن زيدون لوعة الفراق وألم البعد، مستخدمًا صورًا شعرية مؤثرة تعكس عمق إحساسه. ولم يقتصر غزله على التعبير عن المشاعر الشخصية، بل اتخذ أحيانًا طابعًا رمزيًا يعكس تعلقه بحب الحياة والجمال.

الرثاء

كان الرثاء أيضًا من الأغراض البارزة في شعر ابن زيدون، حيث عبر فيه عن أساه لفقد الأحبة وزوال النعمة. وقد رثى قرطبة بعد سقوطها واضطراب أحوالها، معبرًا عن حزنه لانحطاط مكانتها السياسية والأدبية. كما رثى بعض أصدقائه وأعيان عصره، فجاء رثاؤه مليئًا بالحسرة والأسى، لكنه لم يخلُ من لمسات فنية رائعة تظهر براعته في تصوير المشاعر الإنسانية.

المدح والهجاء

لعب المدح دورًا مهمًا فى شعر ابن زيدون، خاصة بعد انتقاله إلى بلاط المعتضد بن عباد فى شبيلية، حيث وجد فيه حاكمًا قويًا يرعى الأدباء والعلماء. فمدحه بقصائدَ تفيض بالعرفان والولاء، معبرًا عن تقديره لدعمه وحمايته. على الجانب الآخر، اشتهر ابن زيدون بالهجاء اللاذع، خاصة في مواجهة خصومه مثل ابن عبدوس، الذي اتهمه بالتسبب في إبعاده عن ولادة.
فجاء هجاؤه قاسيًا أحيانًا، لكنه ظل محافظًا على مستوى أدبي رفيع.

الشعر السياسي

لم يكن شعر ابن زيدون منعز لا عن الأحداث السياسية التي عاشها، بل عبر فيه عن مواقفه من الصراعات بين ملوك الطوائف. فقد أظهر ولاءه لبعض الحكام، مثل بني جهور في قرطبة ثم لمعتضد بن عباد في إشبيلية، كما انتقد الفساد والانقسامات التي أضعفت الأندلس. فجاء شعره السياسي مزيجا بين الذكاء الدبلوماسي والرؤية النقدية.

الوصف

برع ابن زيدون في وصف الطبيعة الأندلسية الخلابة، فصور الحدائق والمياه والأزهار بأسلوبٍ شاعري أخاذ. كما وصف مجالس اللهو والشراب، لكنه جعل من هذه الأوصاف وسيلة للتعبير عن مشاعره وأفكاره، وليس مجرد سرد خارجي.

أضحى التَّنائي بَديلاً مِن تَدانينا
وَنابَ عَن طيبِ لقيانا تَجافينا
ألا وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ صَبَّحَنا
حَينٌ فقامَ بِنا لِلحَينِ ناعينا
مَن مُبلغُ المُلبِسينا بِانتِزاحِهِمُ
حُزناً مَعَ الدَهرِ لا يَبلى وَيُبلينا
أَنَّ الزَمانَ الَّذي مازالَ يُضحِكُنا
أنساً بِقُربِهِمُ قَد عادَ يُبكينا
غيظ العِدا مِن تَساقِينَا الهَوى فَدَعَوا

بِأَن نَغَص فَقالَ الدَهرُ آمينا
فَانْحَلَّ ما كانَ مَعقوداً بِأَنفُسِنا
وَإنبَتَّ ما كانَ مَوصولاً بِأَيدينا
وَقَد تَكونُ وَما يُخشى تَفَرُّقُنا
فاليومَ نَحنُ وَما يُرجى تَلاقينا
يا لَيتَ شِعري وَلَم نُعتِب أعادِيَكُم
هَل نالَ حَظًا مِنَ العُتبى أعادينا
لَم نَعتَقِد بَعدَكُم إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ
رَأياً وَلَم نَتَقَلَّد غَيرَهُ دينا
ما حَقَّنا أن تُقِرّوا عَينَ ذي حَسَدٍ
بِنا وَلا أن تَسُرّوا كاشِحاً فينا
كُنّا نَرى اليَأسَ تُسلينا عَوارِضُهُ
وَقَد يَئسنا فَما لِليَأسِ يُغرينا

بِنتُم وَبِنّا فَمَا إبتَلَّت جَوانِحُنا
شَوقاً إِلَيكُم وَلَا جَفَّت مَاقِينا
نَكادُ حينَ تُناجيكُم ضَمائِرُنا
بِقضي عَلَينا الأسى لَولا تَأَسّينا
حالَت لِفَقدِكُمُ أَيّامُنا فَغَدَت
سوداً وَكانَت بِكُم بيضاً لَيالينا
إذ جانِبُ العَيشِ طَلقٌ مِن تَأَلُّفِنا
وَمَربَعُ اللَّهوِ صافٍ مِن تَصافينا

وَإِذ هَصَرنا فُنونَ الوَصلِ دانِيَةً
قِطافُها فَجَنَينا مِنهُ ما شينا
لِيُسقَ عَهدُكُمُ عَهدُ السُرورِ فَما
كُنتُم لِأَرواحِنا إِلّا رَياحينا
لا تَحسَبوا نَأيَكُم عَنّا يُغَيِّرُنا

أَن طالَما غَيَّرَ النَأيُ المُحِبّينا

وَاللَهِ ما طَلَبَت أَهواؤُنا بَدَلاً

مِنكُم وَلا اِنصَرَفَت عَنكُم أَمانينا

ياساريَ البَرقِ غادِ القَصرَ وَاِسقِ بِهِ

مَن كانَ صِرفَ الهَوى وَ الوُدُّ يَسقينا

وَاِسأَل هُنالِكَ هَل عَنّى تَذَكُّرُنا

إِلفاً تَذَكُّرُهُ أَمسى يُعَنّينا

وَيا نَسيمَ الصَبا بَلِّغ تَحِيَّتَنا

مَن لَو عَلى البُعدِ حَيّاً كانَ يُحَيّينا

فَهَل أَرى الدَهرَ يَقضينا مُساعَفَةً

مِنهُ وَإِن لَم يَكُن غِبّاً تَقاضينا ولادة بنت المستكفي.. الملهمة

كان ابن زيدون مرهف الحس، جياش العواطف، مال قلبه سريعًا ناحية واحدة من أكثر فتيات قرطبة جمالًا في العصر الأموي، هي ولادة بنت المستكفي الخليفة الأموي الذي كان يعاني من ضعف الحكم وفوضوية الشخصية، إذ كان معول الهدم الأخير للخلافة الأموية في الأندلس.

جمع أبو الوليد وولادة حبهما للشعر، إذ كانت إحدى أبرز شاعرات الأندلس، وكانت تتمتع بجمال أخّاذ، ورقّة لافتة لأنظار الجميع، قيل عنها إنها "نادرة زمانها ظرفًا وحسنًا وأدبًا"، كذلك "إنها أديبة شاعرة جزلة القول، مطبوعة الشعر، تساجل الأدباء، وتفوق البرعاء"، وكانت محط نظار الشعراء والأدباء في ذلك الوقت ممّن وقعوا في حبها، فنظموا لها الأشعار تقرّبًا منها. وبعد سقوط الخلافة الأموية، حوّلت ولادة قصر أبيها إلى سوق كبير للشعر تستقبل فيه شعراء قرطبة، وكان ابن زيدون أحد رواد هذا المنتدى الذي ضمّ فطاحل الشعر آنذاك، منهم أبو عبد الله بن القلاس وأبو عامر بن عبدوس، وكانا الخصمَين الأكبر لابن زيدون في حب ولادة. نجح الشاعر الأندلسي في سحق منافسيه في نظم الشعر وفنونه، حتى أنه كتب رسالة هزلية إلى ابن عبدوس على أنها من ولادة، وكانت رسالة ساخرة فأوقعت عبدوس في مأزق حرج أمام محبوبته، ما أوغر صدره تجاه ابن زيدون، ومن ثم قرر استهدافه والانتقام منه، فأحدث الوقيعة بينه وبين الأمير ابن جهور الذي انقلب عليه ووضعه في السجن بدعوى التآمر لقلب نظام ورغم دخوله السجن، إلا أن قلبه ما زال معلقًا بولادة، وما إن خرج حتى تودّد إليها مرة أخرى على أمل إعادة المياه إلى ما كانت عليه قبل سجنه، لكن العلاقة قد وصلت إلى طريق مسدود خاصة بعدما فتحت الشاعرة الجميلة قلبها لآخرين ممّن تودّدوا إليها وأسروها بأشعارهم

ورسائلهم النثرية، ورغم ذلك ظلت ولادة هي ملهمة ابن زيدون الذي ما نسيها مطلقًا حتى بعد نتقاله إلى إشبيلية، وظلت رفيقة أشعاره حتى وفاته.

شاعر الأندلس وأديبها

يعدّ "ديوان ابن زيدون" أفضل ما كتب في الأندلس وقرطبة خلال القرن الحادي عشر، هذا الديوان الذي جمع بين دفتيه أنواع الشعر المختلفة، الغزل الذي احتل نحو ثلثه تقريبًا، والمديح والهجاء وغير ذلك من الفنون الشعرية المتنوعة.
واحتلت ولادة بنت المستكفي نصيب الأسد في قصائد هذا الديوان، ولعلَ قصيدة "يا غزالًا أصارني" التي تُسمّى ب"النونية" من بين القصائد التي توثّق عشقه لها رغم ابتعاده عنها، إذ كان حينها في إشبيلية لكن قلبه كان معلقًا بمعشوقته رغم هجرانها له، وفيها يقول:

يا غَزالًا أصارَني
موثَقًا في يَدِ المِحَن
إنَّني مُذْ هَجَرتَني
لَمْ أَذُق لَذَّةَ الْوَسَن
لَيتَ حَظِّي إشارَةٌ
مِنكَ أَو لَحظَةٌ عَنَن
شافِعي يا مُعَذِّبي
في الهَوى وَجهُكَ الحَسَن
كُنتُ خَلوًّا مِنَ الهَوى
فَأَنا اليَومَ مُرتَهَن

ابن زيدون وولادة بنت المستكفي يعود نسب ولادة ابنة المستكفي إلى بيت أموي عريق، فوالدها هو الخليفة المستكفي بالله الذي أجمع المؤرخون على أنّه كان منغمساً في الملذات ومشهوراً بالبطالة وشرب الخمر، فكان توليه أمر المسلمين في قرطبة نقمة عليهم، وقد تزوج من أمةٍ مسيحيةٍ حبشيةٍ قيل إنّها أم ولادة، وعلى الرغم من عظمة أجداد ولأدة إلا أنها كانت قد اكتسبت بعض صفات والديها.عشق ابن زيدون في شبابه ولادة وشغفته حباً أيام خدمته لبني جهور، وتوثقت علاقته بها مدةً من الزمن ونظم في حبها مجموعة من القصائد الرائعة، ثمّ ساءت العلاقة بينهما وهجرته ولادة فنظم قصائد مؤثرةً يستعطفها بها، وكان ينافسه في حبها ابن عبدوس الذي تزوجته فيما بعد، وقد كانت ولادة سيدة عصرها وكانت أديبة وشاعرةً واثقة من نفسها لدرجة الغرور، فطرزت بالذهب على ثوبها هذين البيتين:
أنا والله أصلُح للمعال وأمشي مشيتي وأتيه تيها وأمكِنُ عاشقي من صحن خدّي وأعطي قُبلتي من يَشتهيها أحبت ولادة الوزير ابن زيدون أولاً، ثمّ انصرفت عن حبّه إلى حبّ الوزير أبي عامر ابن عبدوس، وكان يلقَّب بالفار، وفي هذا يقول ابن زيدون: أكرم بولادة علقاً لمعتلقٍ لو فرقت بين بيطار وعطار قالوا أبو عامر أضحى يلمُ بها قلت الفراشة قد تدنو من النار نونيّة ابن زيدون مناسبة القصيدة كتب ابن زيدون هذه القصيدة لو لآدة بعد هروبه من السجن وأرسلها إليها يرجوها أن تحفظ الود وتظل على العهد، فتذكر أيام الوصال بينهما وتحسر عليها، وقد استخدم الشاعر في هذه القصيدة ألفاظاً معبرة عن حبه وعاطفته النبيلة، كما اختار الصور البيانية بمهارةٍ لتعبر عن الأحوال النفسية التي عاشها، واستخدم فيها مُحسنات اللفظ والمعنى بكلّ إبداع فجاءت مناسبةً لعواطفه وأحاسيسه.نظم ابن زيدون نونيته على وزن (بحر الكامل) الذي يعد من أهم البحور العربية لكثرة النظم فيه، والذي يمتاز بجرس واضح ينبعث من هذه الحركات الكثيرة الواضحة، وهو مناسب لقصيدة ابن زيدون التي تحتاج مساحة من الزمن للتعبير عن معانيها، أما

القافية فهي مردوفة مطلقة وحرف الروي هو النون، وهو شبيه بروي معلقة ابن كلثوم التي طلعها: ألا هبّي بصحنكِ فأصبحينا ولا تُبقي خُمور الأندرينا هذا ومع اختلاف غرضي القصيدة، فقصيدة عمرو في الفخر والحماسة وقصيدة ابن زيدون في الغزل. الأسلوب المستخدم في القصيدة بنى ابن زيدون قصيدته هذه بأسلوب جميل رقيق وهادئ مختومة بحرف النون الذي من مميزاته أنّه يعطي في الوقف نبرة حزن مع جرس مصحوب بالحنين، كما أنّه من الحروف الذلاقة، وله جرس لطيف ونغم موسيقيٍّ عذب في ترتيب القوافي.

علاقة ابن زيدون بالخلفاء عاش ابن زيدون في عصر ملوك الطوائف الذي ضعفت فيه قوّة دولة الأندلس وتشتت وتقلصت، فبعد سقوط الدولة الأموية نتيجة ضعفها وانحلالها قامت على أنقاضها دويلات منها قرطبة التي تولى إمارتها أبو الحزم ابن جهور، فكان ابن زيدون من وزرائه المقربين، ثمّ أوقع بينهما الوشاة فتغيرت العلاقة وذهب الودّ فقام ابن جهور بسجنه لكنّه استطاع الفرار من السجن بعد أن مكث فيه سنةً ونصف، ثمّ لجأ إلى ولي عهد ابن جهور، وأدخله بوساطةٍ بينه وبين ابن جهور فعفى عنه، وبعد أن توفي الأمير أبو الحزم سنة 435ه تولى ابنه أبو الوليد الإمارة فكان ابن زيدون صديقاً مقرباً له فولاه وزارةً لكنه سرعان ما عزله بعد أن أصغى إلى الوشاةِ من أعداء الشاعر ومنافسيه، ثمّ عاد ورضي عنه بعد عدة أعوام لكن ابن زيدون هجر الأمير وانتقل إلى إشبيلية حيث بنو عباد.بعد وفاة أبو القاسم بن عباد الذي حكم إشبيلية منذ عام (414ه) حتى عام (433ه) تولى الحكم ابنه المعتضد بن عباد، وكان شاعراً يحب الشعر، فاجتمع في بلاطه عدد كبير من الشعراء كان ابن زيدون زعيمهم، فأصبح صديقاً للأمير وولاه وزارته، ولما توفي المعتضد سنة 461ه تولى بعده ابنه المعتمد وكان من صدقاء ابن زيدون فأبقى عليه في منصبه، واستطاع الأمير فتح قرطبة وقد ساعده ابن زيدون في ذلك بحنكته السياسية، هذا وقد كان لكلّ الأحداث التي حصلت حينها في البيئة التي نشأ فيها ابن زيدون أثر واضح في شعره مما جعله يتربع على عرش زعامة الشعر بلا منافس

عبد الرحمن الداخل

ولادته ونشأته :

لما تداعت دولة بني أمية في المشرق ، وغلبهم بنو العباس على الخلافة بمعركة الزاب ، وقتل آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد سنة ١٣٢ هـ بمصر ، وتابع بنو العباس بني أمية في كل مكان ، كان ممن أفلت منهم الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وخلص إلى المغرب العربي ، ثم عبر منها إلى الأندلس ، وتولى الإمارة فيها.

ولد عبد الرحمن الداخل سنة ١١٣هـ في قرية تعرف به (ديرخنان) من أعمال قنسرين ، وبين قنسرين وحلب مرحلة واحدة من جهة حمص ، توفي أبوه معاوية بن هشام سنة ١١٨هـ أو سنة ١١٩هـ عن عمر ناهز الحادية والعشرين عاماً ، وذلك في أيام أبيه الخليفة هشام بن عبد الملك ، فكفل عبد الرحمن وأخوته ، جدهم هشام بن عبد الملك ، وخص منهم عبد الرحمن ، ووجه عبد الرحمن الى الاندلس ، ليقوم بإدارتها نيابة عنه ، مدة بقائه في الشام ، ومن المرجح أن عبد الرحمن الداخل ، تعلم الفروسية والقتال ، شأنه شأن أبناء الخاصة والأمراء والحكام ، كما عرف عنه ، انه اشتهر باستعمال السلاح والمطاردة والصيد ، الى جانب اشتهاره بالعلم والأدب فكان شاعراً مجيداً وخطيباً مفوها.

أما اخوه عبد الرحمن ، فهم كثيرون من البنين والبنات ذكر من البنات شقيقته أم الأصبغ ، وأمة الرحمن ، ومن البنين ثلاثة عشر ولداً منهم الفتى الذي عبر معه النهر ثم عاد وقتل.

تواري عبدالرحمن الداخل عن أنظار العباسيين ، وظل متخفياً في منزله ومعه بعض أخوته وعياله قرابة أربعة أشهر ، وكان له من الاولاد سليمان أبو أيوب المولود سنة ١٣٠ هـ ، ثم فارق عبد الرحمن قريته يطلب النجاة ، وقد ذكر عن الأمير عبد الرحمن الداخل انه وصف كيفية نجاته مع بعض أهله وعياله فقال: لما أعطينا الأمان من العباسيين ، ثم نكثوا بنا عند نهر أبي فطرس بين الاردن وفلسطين ، وكنت وقتها مشغولا عن الناس ، رجعت الى أهلي يائساً ، وأخذت ما يصلحني وأهلي، وخرجت خائفاً ، حتى صرت الى قرية على نهر الفرات ذات شجر وغياض ، فبينما أنا بها ذات يوم ، إذ دخل علي ولدي سليمان ، وهو يومئذ ابن أربع سنين ، من باب البيت ، باكياً فزعاً ، وخرجت لأنظر ما الخبر ، وإذا بالخوف نزل القرية، وإذا بالرايات العباسية منحطة عليها ، ثم جاءني أخ لي حدث السن يقول لي : النجاة النجاة ، فهذه رايات العباسيين. فأخذت دنانير معي ، ونجوت بنفسي وأخي ، وأعلمت اخوتي وبقية أهلي باتجاهي ، كما أمرت أهلي أن يلحق بي مولاي بدر بما يصلحني ان سلمت ، وكانت خيل العباسيين قد أحاطت القرية ، ، ثم يقول الأمير : (فخرجت حتى اندسست في موضع تاء عن القرية ، وأتيت رجلا على شاطىء الفرات ، وأمرته أن يبتاع لي ما يصلحني وبعض الدواب.

لكن مقام عبد الرحمن الداخل في هذا المكان ، لم يدم طويلا ، فقد ذهب الرجل الذي نزلوا عنده ، الى عبد الله عامل العباسيين بالقرية، وأخبره بمكان عبد الرحمن وأخيه ، فجاء جند العباسيين ، وأحاطوا

بمكان عبد الرحمن ، فخرج هارباً ومعه أخوه الفتى ، حتى دخلا بساتين على الفرات والخيل وراءهم ، حتى أحاطوا بالبساتين ، يقول عبد الرحمن: وسبقنا الخيل على الفرات أنا وأخي ، فسبحنا حتى عبرنا الضفة ، إذ تعب أخي الغلام ، وله من العمر ثلاثة عشر عاماً ، و ناداه العباسيون بالأمان ، فرجع الغلام خوفاً من الغرق ، فناديته : أقبل يا حبيبي إلي ، لكنه لم يسمع ، فلما عاد اليهم ، أخذوه ، وأنا أنظر اليهم ، فاحتملت فيه شكلا ومضيت لوجهتي فتواريت حتى انقطع عني الطلب.

ثم بقي مطاردا من قبل العباسيين ، وسار الى جنوب بلاد الشام ثم فلسطين وكان قد لحقه غلامه بدر في فلسطين ومعه ابن اخته ثم مصر وبعد ذلك الى ليبيا التي اسقر فيها خمسة أعوام، ولحقه هناك جماعة من اهل بيته حتى وصل المغرب. وبعد ان تواصل مع أمرائه وعماله في الأندلس عبر البحر واستطاع استرداد أراضيه المتنازع عليها المتنازع وتوحيدها. حتى توفي في قرطبة سنة ١٧٢هـ، ودُفن في قصر قرطبة.

صفاته:

كان الناصر يملك شخصيه قوية وذو حنكة سياسية وعسكرية وإدارية وكان عالماً وأديبا يهوى الشعر ونضمه ويقرب الشعراء والأدباء منه ، وكان الناصر سمحاً وجواداً وشهماً ومعروفاً بحسن العهد بتوقيعاته البلاغية غير أنه مع صفاته الرفيقة وكان حريصاً جداً على السلطة وغيورا عليها يسحق كل من تحدث نفسه بالوقوف في سبيله ولو كان اقرب الناس إليه، ومثال على ذلك كبير أولاده عبد الله اخذ يتامر على أبيه مع بعض فتيان القصر ورجال الدولة سبب أبعاده عن ولاية لعهد لمصلحة أخيه الذي يليه فعلم الناصر بالأمر فقبض على المتآمرين فقتل ابنه وامر بقتل الآخرين بمن فيهم .

خادمه بدر :

كان بدر يجيد ركوب الخيل والرماية، وكان قوي البنية .صحب عبد الرحمن من المشرق إلى المغرب، وساعده على دخول الأندلس بعد رحلة دامت أربع سنوات، فكافأه عبد الرحمن بأن جعله وزيرًا وأميرًا للجيش.

ألقابه:

- الداخل: لأنه أول أمير أموي يدخل الأندلس ويؤسس الدولة الأموية هناك.
- صقر قريش: لقبه به الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إعجابًا بذكائه وقوته وشجاعته بعد أن عبر البحر منفردًا ليؤسس دولة قوية في الأندلس.

شاعريته:
أبدى النقاد إعجابهم بشاعريته، وكان فصيحًا بليغًا حسن الأسلوب، معدودًا من أهل العلم.

شعره::

كان الداخل من الأمراء الذين عرفوا بنظم الشعر والتغني به والذي كان ينثال عليه انثيالاً. فإذا هو شعر سلس متدفق على السجية، دون تكلف الخاطر أو البال، وإذا هو شعر في غاية الجودة والجزالة. وقد وصفه المؤرخون بأنه كان مطبوع الشعر. وفي ذلك دلالة قوية على شخصيته الشعرية القوية، إذ استخدم هذا الشعر سلاحا ثانيا ضد أعداءه، جنبا إلى جنب مع السيف. واستعمله كذلك - للتنفيس عن نفسه وبث ما يجول فيها من مشاعر وأحاسيس تجاه ما يحيط به من ظروف وأحداث وأهوال ومخاطر في ذلك المكان القصي من البلاد الإسلامية.

أغراض شعره:

المديح :

وهو رأس الأغراض الشعرية العربية على الإطلاق، إلا أننا لم نعثر إلا على بيت واحد له وهو:

أخو السيف قارى الضيف حقا يراهما عليه ونافي الضيم عن كل بائس

وقد قاله الأمير الداخل في (حيوة بن ملامس الحضرمي) وكان من أعز أصحابه وأقربهم إليه، إلا أنه ثار عليه من جملة من ثار عليه وتغلب على أشبيلية وإستجة وأكثر الغرب، إلا أن الداخل استطاع القضاء عليه عام ١٥٦هـ -

الفخر:

تذكر المصادر الأندلسية أن غرانيق، قد وقعت قريباً من معسكر الداخل، حينما كان مع جيشه في إحدى غزواته إلى الثغر فاتاه من كان يعرف كلفه بالصيد وحبّه له يعلمه بمكان وجودها ويحضه على اصطيادها فأطرق عنه بعض الوقت، ثم قال له:

دعني وصيد وقع الغرانق

فإن همي في اصطياد المارق

في نفق إن كان أو في حـــالق

إذا التظت هواجر الطرائق

العتاب:

كان أشد ما يؤلم الداخل تلك العبارات والشكاوي غير العادلة التي يسمعها من أصدقاء الأمس، من الذين - يريدون اليوم - الخروج عليه أو الانتقاص منه ومما شيده وعمله تجاه هذه الدولة الإسلامية الجديدة.

من ذلك ما يروى أن جلساء الأمير عبد الرحمن القادمين إليه من الشام، حدثوه يوماً ما كان من أمر ((الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان)) - ابن عمه - أيام محنتهم، وكلامه لأبي العباس السفاح، وفخره بمناقب قومه فكأن الأمير عبد الرحمن احتقر ذلك في جنب ما كان منه هو في الذهاب بنفسه لاقتطاع قطعة من مملكة الإسلام عن عدوه وقام من مجلسه فصاغ هذه الأبيات بديهة:

شتان من قام ذا امتعاض مذ قال ما قال واضمحلا

ومن غدا مصلتا لعزم مجردا للعداة نصلا

فجاب فقيرا وشق بحرا ولم يكن في الأنام كلا

فشاد ملكا وشاد عزا ومنبرا للخطب فصلا

وجند الجند حين اودى ومصر المصر حين اجلى

الحنين:

لشعر الحنين، طابع خاص مميز في الشعر العربي، لما له من خصيصة في أنه يمس شغاف قلب المغترب عن وطنه وأرضه، ويبث آهات، ولوعات تذكره بساعات أيامه، ومراتع صباه، وما هو فيه الآن، من تغير الظروف، وتوالي الإحن والمحن والأحداث المتتابعة عليه. وكان يبث شعره المليء بالحنين إلى مواضع مسقط رأسه، إذا تذكر أو شاهد شيئاً يذكره بماضيه الجميل.

وهكذا كان الداخل ... وهكذا كان يحنّ إلى موطنه في الشام، فيبث مقطوعات شعرية جزلة الأسلوب، تخرج من قلب صادق وإحساس عميق متدفّق ... ومن ذلك ما بعث به إلى أخته في الشام (أم الأصبغ) يصف في هذه القصيدة، شوقه وحنينه إلى وطنه، بعد فراره من سيوف وعيون العباسيين، فأصبح جسمه وقلبه في مكانين مختلفين :

أيها الراكب الميمم أرضي اقر من بعضي السلام لبعض

إن جسمي كما علمت بأرض و فؤادي ومالكيه بأرض

قدر البين بيننا فافترقنا وطوى البين عن جفوني غمضي

قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي!

واغلب يدور شعره في محورين:

١- الحماسة والفخر.

٢- الشوق والحنين.

ومن شعره في الحماسة:

دعني وصيد ولّع الغرائكِ   فإن همّي في اصطِياد المارقِ

ومن شعره في الشوق والحنين عندما رأى نخلة غريبة في الأندلس:

يا نخل أنت غريبة مثلي   في الأرض نائية عن الأهلِ

تبكي وهل تبكي مكملةٌ   عجماء لم تُجبل على جبلِ

لو أنها تبكي إذا لبكت   ماء الفرات ومنبت النخلِ

نثره:

اشتهر الأمير عبد الرحمن الداخل ببلاغته وفصاحته، وجزالة منطقه وفي ذلك يقول المقري: إن عبد الرحمن كان من البلاغة بالمكان العالي الذي يرتد عنه أكثر بني مروان حسيرأفهو قد فضله على أكثر بني أمية في البلاغة والفصاحة، وقال لسان الدين ابن الخطيب كان عبد الرحمن بن معاوية فصيحاً بليغاً حسن التوقيع مليح الفصول، وقد اهتم بالكتابة، اهتماماً كبيراً، فعين لها ممن وصفوا وعرفوا بالبلاغة والفصاحة والبيان وهم: أبو عثمان عبد الله بن عثمان و عبد الله بن خالد. وقد اتخذهم الداخل - أيضاً - وزراء له. يدور نثره في ثلاثة اتجاهات: المناظرات، والخطب الأدبية، والتوقيعات القصيرة الموجزة، امتاز نثره بالإيجاز، واختيار الألفاظ الفصيحة السهلة، والبعد عن التعقيد.

وفاته:

توفي في قرطبة سنة ١٧٢ هـ، ودُفن في قصر قرطبة.

يوسف بن هارون الرمادي (٣٠٥-٤٠٣)هـ

هو يوسف بن هارون ، وكنيته أبو عمر ، أما الرمادي فلقبه . وقد ظن بعض من ترجموا له أن هذا اللقب نسبة إلى مكان بالمغرب يسمى الرمادة ، وأن منه أحد أجداد الشاعر.

وهو من أسرة تتصل بقبيلة كندة ، ولذا يقال له : يوسف بن هارون الكندي. وقد ولد في السنوات الأولى من المائة الرابعة . ونشأ بقرطبة وتثقف على علمائها ، واكتسب صناعة الأدب من شيخه أبى بكر بن هذيل، كما أفاد كذلك من علم أبي على القالي ، إذ روى عنه كتابه الأمالي. ويبدو أن الرمادى قد قام بالتدريس في قرطبة حيناً ، بعد أن بلغ من العلم درجة تسمح له بذلك ؛ فقد ذكر اسمه ضمن من قرأ عليهم بعض الدارسين في تلك الفترة . ولكن المرجح أن الشعر اجتذبه في عهد مبكر من حياته ، كما تدل على ذلك قصيدته في استقبال أبي على القالي حين وقد على الأندلس .

وقد عاصر الرمادي عدداً من حكام الأندلس، وكان له في عهد كل منهم نشاط شعري : فقد عاصر عهد الناصر، وكان مما أثر عنه من شعر قيل في تلك الفترة، قصيدته التي استقبل بها القالي ، والتي يقول في مطلعها :

مَن حاكمٌ بيني وبين عذولي   الشجو شجوي ، والعويل عويلي

كذلك عاصر الرمادي عصر المستنصر ، وكان مما أثر عنه من شعر قيل في تلك الفترة ، تلك القصيدة التي قالها دفاعاً عن الخمر ، حين عزم الخليفة على إراقتها وهم باجتثاث الكروم ؛ وهي القصيدة التي مطلعها :

يخطب الشاربين يضيق صدري   وترمضني بليتهم لعمري

وكان من شعر الرمادي في عهد الحكم بعض الشعر السياسي الذي انتقد فيه الشاعر الخليفة ، ومنه قوله :

يولى ويعزل من يومه   فلا ذا يتم ولا ذا يتمْ

وقد كان من نتائج هذا اللون من الشعر أن سجن الشاعر ، فألف في سجنه مجموعة شعرية سماها كتاب الطير ؛ ووصف في هذه المجموعة كل طائر معروف وذكر خواصه ، ثم ذيل كل قطعة بمدح لولى العهد هشام بن الحكم ، مستشفعاً به إلى أبيه في إطلاق سراحه

ويبدو أن الرمادي لم يخرج من السجن إلا بعد موت المستنصر ، ثم عاصر كذلك عهد المنصور ، ركان له في أيامه نشاط شعرى ملحوظ. ويبدو أيضاً أن بعض هذا النشاط كان سياسياً ؛ فقد أتهم الشاعر بهجاء المنصور ومشايعة خصومه، فعاقبه ابن أبي عامر وأمر بتغريبه ، ثم استشفع له عنده ، فخفف الحكم إلى المقاطعة الاجتماعية : فقد طلب إلى الناس ألا يكلمه أحد ولا يتصل به أحد ، فعاش فترة قاسية من حياته وكأنه ميت .

والمؤكد أن تلك المقاطعة لم تستمر بقية حياة الشاعر كما ظن بعض الرواة، والمرجح أنها لم تستمر بقية عهد المنصور ، كما ذكر ذلك البعض ، وذلك لأن الرمادي قد عاش مدة بعد عهد المنصور ، حتى شهد الفتنة ، كما تقول أدق الروايات ، وغير مؤكد أن يظل الشاعر معاقباً بحكم المنصور حتى بعد موته وزوال عهده، ثم إن من الثابت أن الرمادي كان من مداح المنصور ، وأن المنصور كان يقر به ويعتز به . والذي يطمأن إليه ، أن ذلك كله لم يكن في أوائل عهد المنصور ؛ لأن تلك الفترة هي الفترة التي اتهم فيها الشاعر بهجاء الحاجب ومشايعة خصومه والمعقول أن يكون إكثار الشاعر من مدح المنصور ، وتقريب المنصور له واعتزازه به في الجزء الأخير من حياة ابن أبي عامر ، بعد أن صفح عن الشاعر وأراد كسبه إلى جانبه واستغلال موهبته الشعرية في الدعاية لعهده .

وقد كانت للرمادي رحلات خارج قرطبة ، اقترنت بنشاط شعرى . ومن هذه الرحلات رحلته إلى سرقسطة ، حيث قصد عبد الرحمن بن محمد واليها ، ومدحه بقصيدة (4) مطلعها :

قِفُوا تَشهدُوا بَثِّي وَإنكار لائِمي عَليَّ بُكائي في الرّسوم الطَّواسِمِ

وامتدت حياة الرمادي كما تقدم حتى شهد طرفا من الفتنة، ثم مات فقيراً معدماً معانياً لشرور تلك السنوات المريرة سنة ٤٠٣ هـ ، وهكذا عاش الرمادي نحو مائة عام ؛ لأنه كان شاعراً حين قدم القالى إلى الأندلس سنة ٣٣٠ هـ ، فكأنه عاش ثلاثة وسبعين عاماً بعد مقدم القالي ، فإذا فرضنا أنه كان يوم أن قدم القالي في حدود السابعة والعشرين ، وأنه بخاصة تحدث في مدحة للقالي عن شعرات بيض بدأت تتسرب إلى رأسه ، إذا فرضنا له هذه السن يوم أن قدم القالي ، كان عمره يوم مات لا يقل عن مائة عام .

شعره

وقد خلف الرمادي شعراً كثيراً من غير شك ؛ وذلك نظراً لتبكيره في قول الشعر ، وامتداد أجله الذي كان نحو القرن ؛ ثم نظراً لما عرف من سرعته في قول الشعر وعدم المعاناة فيه.

وقد قال الشعر فى أكثر أغراضه المعروفة ، بل طرق بعض الأغراض الجديدة كدراسة الطير ، التي اتجه إليها أثناء سجنه والتي تحدث فيها شعراً عن كل طائر معروف وذكر خواصه. وبرغم ذلك ، لم يؤثر عن هذا الشاعر ديوان يجمع أطراف شعره، بل لم يبق من شعره هذا الكثير إلا بعض قصائد ومقطوعات مفرقة في كتب الأدب والتراجم والتاريخ، التي عرضت للشاعر أو بعض من اتصل بهم . وكان مما ضاع من شعر الرمادي قصائده في المنصور ، وأشعاره في الطير. أما جل الباقي من شعره فقطع غزلية ، وخمرية ، مما يدل على أن هذين الغرضين كانا من أهم أغراض شعره .

اتجاهه :

وشعر الرمادي حسب ما بقى من نصوصه .. كان يسير أحياناً في الاتجاه المحدث ، وأحياناً في الاتجاه المحافظ الجديد. وأغلب الظن أن الشاعر كان يؤثر الاتجاه الأول حين يكون الموضوع أو الموقف أقرب إلى اللهو والتحرر والدعابة. كما كان يؤثر الاتجاه الثاني حين يكون الموضوع ألصق بالجد والمحافظة والتوقر . فمثلا حين يذهب إلى سرقسطة، لينال رفد واليها محمد بن عبد الرحمن التجيبي ، كي يستعين به على نيل حبيبته التي كان يعاني في عنف تجربة حبها ؛ نراه يقول في قصيدته لعبد الرحمن :

قِفُوا تَشهدُوا بَثِّي وَإنكار لائِمي عَليَّ بُكائي في الرّسوم الطَّواسِمِ

أَيأمنُ أَن يَعدو حَريقَ تَنفسي وَإلا غَريقاً في الدُموع السَّواجِمِ

خُذوا رَأيه إن كانَ يَتبعُ كُلَّ مَن يَنوحُ عَلى ألافه بِالملاومِ

خَلا ناظِري مِن نَومِهِ بَعدَ خلوة مَتى كانَ مني النَّومُ ضَربَةَ لازِمِ

فهو هنا يبدأ مدحه لعبد الرحمن التجيبي بالغزل لينتقل منه إلى المدح ، وفقاً للمنهج المحافظ وهو يعنى بطرافة المعنى وغرابة الصورة، والمبالغة في هذا وتلك ، ثم هو يعنى ببعض المحسنات ، كالتجنيس بين وخلاه و «خلوة ، في البيت الأخير . كل هذا إلى رعاية الفخامة في التعبير والجزالة في اللفظ والجلال في الوزن والقافية .

أما حين يذهب إلى شنرين ، ويلقى إهمالا من بعض رجال واليها فرحون بن عبد الله ، ويفرض الموقف عليه شيئاً من المرارة الدافعة إلى السخرية والدعاية، نراه يقول الفرحون :

أيها العارض والمهدى المستسقيه وبلا حين لا يتهدى إذا ما استسقى العارض طلا

قائداً أفنت مغازيه العدا سبيا وقتلا إن ضيفا قاصداً قلت له : أهلا وسهلا

فهو هنا يدخل في صميم غرضه دون تمهيد بغزل ، كما أنه يعنى ببساطة الفكرة وشيوع روح

السخرية ، ويؤثر بعد ذلك كله التعبير الرشيق واللفظ البسيط والموسيقى الهادئة القريبة من لغة الحديث . وكل ذلك من سمات الشعر المحدث .

شعر الرمادي قسمان من حيث الجودة الفنية ، فقسم قليل الجودة، يصل أحياناً إلى السطحية والنثرية ، وقسم على جانب عظيم من الجودة، يصل أحياناً إلى القمة من الناحية الشعرية.

وأغلب الظن أن القسم الأول من مخلفات عهود الرمادي الأولى بقول الشعر ، قبل أن تنضج شاعريته، وأن القسم الثاني من آثار الفترات المتأخرة من حياته الفنية ، بعد أن استوت شاعريته.

ومن شعره الضعيف يقول الرمادي في مدح القالي :

من حاكم بيني وبين عذولي   الشجو شجوى والعويل عويلي

في أي جارحة أصون معذبي   سلمت من التعذيب والتنكيلِ

وفي هذه الأبيات يلاحظ ضعف المستوى الفني لأكثر من سبب ؛ ففيها عدم الترابط كما يظهر في البيت الأول ، إذ لا ترابط بين شطريه أصلا : فالشاعر يتساءل في الشطر الأول عمن يحكم بينه وبين العذول ، ويقرر في الشطر الثاني أن الشجو شجوه والعويل عويله ، ولا علاقة مطلقاً بين الأمرين. وكما في البيت الثاني بالنسبة لسابقه . فهو في البيت الثاني يتساءل عن المكان الذي يصون فيه حبيبه ، بينما كان في البيت الأول يتساءل عمن يحكم بينه وبين عذوله .

سماته: وأهم سمات شعر الرمادي المكتمل النضج : المبالغة في المعنى ، والتهويل في الصورة وشيوع روح السخرية والإنزياح ، في الموضوعات الغير الجادة كالخمريات والغزل الشاذ، واتضاح حرارة العاطفة والتهالك، في الموضوعات الحادة كالعذريات والشكوى . ثم الاتجاه إلى خلع الحياة الإنسانية على الطبيعة الصامتة ، والميل أحياناً إلى الأسلوب القصصي ، الذي قد يشتمل على حوار . وأخيراً إيثار الوضوح في اللغة وعدم الاحتفال كثيراً بالصياغة. مثال بخمره

اشرب الكأس يا نصير وهات   إن هذا النهار من حسناتي

بأبي مزة ترى الشمس فيها   في صفاء أصفى من المرآةِ